

## الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد ، عربي قرشي ، من بني أمية ، فهو من ولد مروان بن الحكم ، ولد بأصبهان ، واشتهر منسوباً إليها ، ف قيل أبو الفرج الأصفهاني . وأجمع الرواة على أن مولده كان عام ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م ، في خلافة المعتضد بالله ، وهي نفس السنة التي مات فيها البحترى الشاعر .

وقد لمتقل إلى بغداد ، وانصرف فيها إلى طلب العلم ، ودرس على جلة من علماء عصره ، بينهم ابن دُرَيْد ، وابن الأنباري ، والأخفش ، ونفطويه ، والطبري ، وغيرهم من رجال الشعر والأدب واللغة والنحو ، والحديث والتفسير ، والأنساب والأخبار والتاريخ ، وكان أبو الفرج حاد الذهن ، قوى الحافظة ، فاستوعب من علمهم الشيء الكثير ، وكان له مع ذلك إلمام بالطب والنجوم والموسيقى ، فأتاحت له ثقافته الواسعة المتنوعة مكانة عالية ، فتحت أمامه الأبواب المغلقة ، فكان يتنقل كيف شاء بين كبريات المدن ، ومراكز الحضارة ، وعواصم الدولة ، في بغداد وحلب وفارس ، ولقى حظوة عند كبار رجال عصره ، وكان أكثرهم إيثارة له ، وحديثاً عليه ، الوزير المهلبى ، وزير معز الدولة بن بويه ، فانقطع إليه ومدحه ، وأصبح من ندمائه المقرئين . إلى أن توفى في خلافة المطيع بالله عام ٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م ، بعد أن خولط في عقله ، وأصابه الفالج .

ليس المقصد أن نتناول حياة الأصفهاني بالدرس والتحليل ، فلذلك مكانه في دراسات التراجم ، لكن يهمننا أن نشير بصفة خاصة إلى جوانب ثلاثة من حياته ، كان لها أبلغ الأثر في تأليف الكتاب ، وتحديد منهجه ، وانعكست بشكل واضح في مادته .

الجانب الأول منها شخصى بحت ، يتصل بأخلاق أبي الفرج نفسه ، فكان - فيما يقال - قذر الهيئة ، رث الثوب والتعل ، لم يغسل له ثوباً منذ أن فصله إلى أن

قطعه ، ولا ينزع دراعة إلا بعد إبلائها وتقطيعها . وفي داره ، على نهر دجلة ، بين درب سليمان ودرب دجلة ، كان يشكو الفأر ، ويأنس بالسنانير . وإلى جانب ذلك كان أكولا منها ، يدمن الشراب ، ويحب الغلمان ، ويتهالك على النساء ، ويسرف في اللذات والشهوات . ظريف النادرة ، فكه المجلس حاضر النكتة والبديهة ، فلعل ذلك ما رغب عليه المجتمع فيه ، وجعلهم يغضون الطرف عنه مقابحه ومساويه .

والجانب الثاني يتصل بمادته ، فقد كان ملماً بأشتات من العلوم والمعارف ، واسع الدراية بالتاريخ العربي ، حافظاً لكثير من منثور الأدب ومنظومه ، وكان هو نفسه شاعراً ، وله ميل خاص إلى تتبع أنساب القبائل وأخبارها ، ومعرفة ما يدور في المجتمع حوله ، من أعظم قصر إلى أصغر حانة ، وما يقع لكبار الناس وعامتهم على السواء ، واهتم باللهو وأشكاله ، والموسيقى وألوانها ، ووراءه مكتبة عامرة بذخائر التراث العربي على أيامه ، يفيد منها ويستهديها ، كان - كما يقول النوبختي وهو من معاصريه - يدخل سوق الوراقين ، وهي عامرة بالبدكاكين ، مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته . والتقت في شخصه صفات كثيرة ، فكان كاتباً ومؤلفاً ومصنفاً وراويَةً ، وكان أيضاً سليط اللسان ، عليماً بالمثالب ، مخاف الجانب ، مخشياً البادرة .

والجانب الثالث ، والأخير ، من حياته ، اتجاهاته السياسية ، أو على نحو أدق موقفه من التشيع والشعوبية ، ويمكن القول إن أبا الفرج كان يلزم جانب التشيع ، رغم أنه صريح النسب في بني أمية ، إلا أن تشيعه فيما يبدو كان اعترافاً بأمر واقع فعلاً ، أكثر منه إيماناً باتجاه سياسي يؤمن به ويناضل دونه ، فكان رقيقاً في مذهبه ، مقتصدًا في عقيدته ، لم يتنكر لنسبه ، فراسل أمويي الأندلس وتقبل عطاياهم ، وأورد ما كان لخلفائهم في المشرق من فضائل . ومقامه عند الوزير المجلبي ، لم يجعل منه شعوبياً ، فبقى على ولائه للعرب .

أورد ياقوت الحموي قائمة مفصلة بما استطاع أن يذكره من مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني ، وهي : « كتاب الأغاني الكبير ، كتاب مجرد الأغاني ، كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها ، لم أره - أي ياقوت - وبودي لو رأيته ، ذكره هو في كتاب الأغاني ، كتاب مقاتل الطالبين ، كتاب أخبار القيان ( وذكر

السخاوى أنه في مجلدين ) ، كتاب الإماء الشواعر ، كتاب الممالك الشعراء ، كتاب أسبأ الغرباء ، كتاب الديارات ، كتاب تفضيل ذى الحجة ، كتاب الأخبار والنوادر ، كتاب أدب السماع ، كتاب أخبار الطفيليين ، كتاب مجموع الأخبار والآثار ، كتاب الخمارين والخمارات ، كتاب الفرق والمعيار فى الأوغاد والأحرار ، وهى رسالة عملها فى هارون بن المنجم ، كتاب دعوة النجار ، كتاب أخبار جحظة البرمكى ، كتاب جمهرة النسب ، كتاب نسب بنى عبد شمس ، كتاب نسب بنى شيبين ، كتاب نسب المهالبة ، كتاب نسب بنى تغلب ، كتاب الغلمان المغنين ، كتاب اخصيان ، عمله للوزير المهلبى فى خصيين مغنيين كانا له . وله بعد تصانيف جياذ ، تيماء بلغنى ، كان يصنفها ويرسلها إلى المسئولين على بلاد المغرب من بنى أمية ، وكانوا يحسنون جائزته ، لم يعد منها إلى الشرق إلا القليل . ضاع معظم هذه الكتب ، وفيما أعلم ، لم يصلنا منها كاملا غير كتابيه : « مقاتل الطالبين » ، وقد طبع فى القاهرة منذ أعوام غير بعيدة ، وكتاب « الأغانى » .

\* \* \*

يُعدُّ « الأغانى » ، وبحق ، من خيرة ذخائر التراث العربى ، ألفه أبو الفرج فى خمسين سنة ، وكتبه مرة واحدة فى عمره ، وأهداه إلى سيف الدولة الحمدانى فأنفذ له ألف دينار واعتذر إليه ، فلما سمع بذلك الصاحب بن عباد استقلها ، وبعث إليه الحكم الثانى ، خليفة الأندلس ، ألف دينار عيناً ذهباً ، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذى ألفه فى الأغانى ، وما لأحد مثله ، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقّحة ، قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق ، أو ينسخه أحد منهم . وأجمع المؤرخون وأهل الأدب على أن « الأغانى » نسيج وحده فى هذا الباب ، وأن كل كتاب فى الأدب جاء بعده كل عليه ، ولولاه لضاع الكثير من أخبار الجاهلية وصدر الإسلام ، وأيام بنى أمية ، وسمّاه « الأغانى » لأنه بنى مادته ، فى البدء على مائة صوت كان هارون الرشيد قد أمر مُغْنِيَهُ إبراهيم الموصلى أن يختارها له ، وصم إليها أصواتاً زيدت للخليفة الواثق ، وأصواتاً أخرى اختارها هو بنفسه : وحدّد غرضه من الكتاب بأنه : « نَسَبَ ما ذكره من الأغانى إلى قائل شعره ، وصانع لحنه ، وطريقته من إيقاعه ، وإصبعه التى ينسب إليها من طريقته ، واشتراك - إن كان - بين المغنين فيه » ثم امتدَّ به القول إلى السبب الذى من

أجله قليل الشعر ، أو صنع ، اللحن ، وما يشاكل الموضوع أو يوضحه ، من أخبار وسير ، وأشعار ورسائل ، وخطب وقصص ، ومُلح ونكت ونوادر فاشتمل الكتاب على أكثر أيام العرب ووقائعهم وغزواتهم ، وأخبار قبائلهم وأنسابهم وميائهم . وكما وصف البادية وما عليها من حيوان وشجر ، والبدو وما يحتمهم من عادات وخلائق ، اندس إلى القصور الضخمة ، في المدن الكبيرة فوصف ما بداخلها من أشياء نفيسة ، وما فيها من ريش وأثاث ، وما يلتزمه عملوها في طعامهم وشرابهم ، وأفراحهم وأحزانهم ، من مراسم وتقاليد . وما عليه العامة ، لغاتها ومعتقداتها وتدليسها ، وسيطرتها على الخاصة . وأتاح لنا أن نعرف على نحو دقيق ، مهبط الناس في أوقات الفراغ ، وشواغلهم إذا أرادوا الترويح : فوصف النوادي والملاعب ، والمطاعم والحانات ، والمتتردين عليهما من قصاص ومُضحكين . وأزاح لنا الستار عن أنماط من الحياة ، لولاه ما عرفنا عنها شيئاً ، أو كان ما عرفناه محدوداً ، لا يعين على بناء صورة متكاملة لعصر كان أزهى عصور العربية ، وأثراها بما هو طيب وخبيث على السواء .

وصف صاحب بن عباد كتاب « الأغاني » بأنه : « مشحون بللمحاسن المنتخبة ، والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة ، وللعالم مادة وريادة ، وللكتاب والمتأدب بضاعة وتجارة ، وللبطل رُجلة وشجاعة ، وللمتطرف رياضة وصناعة ، وللملك طيبة ولذاذة . ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ، ما فيها سميرى غيره » . وجعله ابن خلدون أحد أركان الأدب الأربعة ، وقال عنه : « ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ، ولا يعدله كتاب فى ذلك ، فيما نعلمه ، وهو الغاية التى يسمو إليها الأديب ويقف عندها » . وقد أعاد منه المستشرق الإنجليزى فارمر H. G. Farmer فائدة كبيرة فى كتابه : تاريخ الموسيقى العربية » ، وقال عنه « إنه كتاب من الطراز الأول فى الانتاج الأدبى للعرب ، وقد أنفق فيه مؤلفه الجانب الأكبر من حياته ، وإن المعارف الواسعة التى يعرضها ، ودع جانباً ما استلزمه من دأب وصبر ، لترك المرء خجلاً مما يسمى فى أيامنا أدباً موسيقياً » .

كِبَرُ حجم « الأغاني » وشهرته ، وحرص المثقفين على اقتنائه ، فى مشرق

العالم العربي ومغربه ، حماه من الضياع ، ووضع بين أيدينا مخطوطات كثيرة له ، موزعة على عدد من مكتبات العالم الإسلامي والأوربي ، تملكه كاملاً أو أجزاء منه . وكتب في خطوط متعددة ، ولم يتوقف نسخه منذ أن خط أبو الفرج أول نسخة منه إلى أن اخترعت الطباعة .

لم يكن أبو الفرج ، على كثرة ما أورد في كتابه ، وعلى سعته وشموله ، حاطب ليل يدون كل شيء ويكتب كل ما يروى له ، وإنما التزم منهجاً نقدياً محدداً إزاء المادة التي تعرض له .

فهو يورد أخباره مسندة ، ثم لا يقنع بالإسناد ، وإنما ينتقد الرواة ، ويبين وجه الخطأ أو التناقض في روايتهم ، ثم يرجع إلى رأيه ، ولا يتردد في القول عن ابن الكلبي ، وقد ذكر بعض الأخبار نقلاً عنه ، بأنه كذاب ، وأخباره موضوعة ، والتوليد فيها بين ، ويعتذر لنفسه عن روايتها بأنه « ذكرها على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء » وقد رواه الناس وتداولوه .

وينتقد المؤرخ ابن خردادبة لأنه قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه ، فهو يذكر من معبد المغني أنه غني في أول دولة بني أمية ، وأدرك دولة بني العباس ، وقد أصابه لفالج وارتعش وبطل صوته ، والصحيح أن معبداً توفي في أيام الوليد بن يزيد ، وأصابه الفالج فعلاً ، وارتعش وبطل صوته ، ولكنه لم يدرك دولة بني العباس . ولم يقل بذلك أحد ، ولا رواه إنسان سوى ابن خردادبة ، فقد جاء به بحاجة .

ويروى قصة نزول امرئ القيس بعمر بن جابر بن مازن ، من بني فزارة ، وأن هذا دله على منزل أكثر أمنًا ، أن يذهب إلى السموأل بن عادياء في تيباء ، ثم صحبه رجل فزارى يرافقه إلى السموأل ، فقال الفزارى : إن السموأل يعجبه الشعر ، فتعالى نتناشد أشعاراً ، فقال له امرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع :

قل للمنية أي حين نلتقى      بفناء بيتك في الحضيض المزلق  
ولقد أتيت بني المصاص مُفاخرًا      وإلى السموأل زرتُه بالأبلق  
فأتيت أفضل من تحمّل حاجة      إن جئته في غارم أو مُرهق

وهي قصيدة طويلة اجتزأنا منها بالأبيات الثلاثة . قال : فقال امرؤ القيس :

طرتك هندٌ بعد طول تجنبٍ وهناً ولم تك قبل ذلك تطرق  
وهى قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة ، لأنها لاتشاكل كلام امرئ لقيس ،  
والتوليد فيها بين ، وما دونها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صتعه دارم  
لأنه من ولد السموأل ، أو مما صنعه من روى عنه ، فلم تكتب هنا أى فى  
الأغاني .

ويقف مما يروى للخلفاء من أغانٍ موقفاً واضحاً : « المنسوب إلى الخلفاء من  
الأغاني ، والملصق بهم منها ، لا أصل لجله ، ولا حقيقة لأكثره ، لاسيما ما حكاها ابن  
خرداذبة ، فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فذكر أنه تغنى فى هذا البيت :  
كأن راكبها غصنٌ بمروحةٍ

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد ، حتى كأن ذلك عند ميراث  
من موارث الخلافة ، أو ركن من أركان الإمامة ، لا بد منه ولا معدل عنه .  
ومصادر أبى الفرج الأصفهاني متعددة ، منها ما سمعه شفاهاً من عامة  
المثقفين ، أو فى ندوات الأدب التى يعقدها الخاصة ، أو رواه له شيوخه ، وقرأها  
فى كتاب ونقل منه مباشرة ، وفى الأعم الأشمل لا يذكر اسم الكتاب ، ولكنه  
لا يهمل اسم المؤلف ، لأهمية ذلك فى الثقة بالخبر وتقويمه .

وتأتى الأخبار المتشابهة فى الأغاني متلاصقة ، ويمزج أبو الفرج بين تلك  
الأخبار ، ويتم بعضها ببعض ، وينسجها بحذف العناصر المتناقضة فيها . وأوضح  
مثل لذلك قصة مجنون ليلى ، فهى عبارة عن مزيج من القصص يروى عن عمر  
ابن شبة ، وابن قتيبة ، وخالد بن كلثوم ، وابن الكلبي وغيرهم ، ومن الواضح أن  
صاحب الأغاني كان يعرف أن بعض هذه الأخبار ، وما تضمنته من أشعار ، ليس  
من عمل المجنون ، وإنما صنعه أناس آخرون ونسبوه إليه ، لأنه يروى مع الأخبار  
قول الجاحظ « ماترك الناس شعراً مجهول القائل قيل فى ليلى إلا نسبوه إلى  
المجنون ، ولا شعراً هذه سبيله قيل فى نبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح » .

كان أبو الفرج يدرك أن كتاباً على هذا النحو من السعة ، لا بد أن يدع الملل  
إلى القارئ ، فاحتال عليه ، بأن أحسن اختيار مادته ، ونخل أخباره أشعاره  
ورواياته ، فلم يبق منها إلا ما يثير فضول القارئ ، ويملك عليه جماع عقله وقلبه ،  
فتخير شعره من كل ماهو متين الأسلوب ، رقيق اللفظ ، واصطفى قصصه وأحسن

تصويرها ، وأخذ من اللغة ما يخدم غايته ومنهجه ، يختار اللفظ المناسب للمعنى ، حتى ولو كان عامياً شائعاً ، ويسمى الأشياء بمسمياتها ، لا يتحرج ولا يتأثم ، ويعرف لكل مقام مقال ، ولكل موضوع بيانه ، فلا تأق أخباره ورواياته على وتيرة واحدة .

وكان يأمل أن يرضى به أذواق الناس جميعا ، فهو يقول في مقدمته : « إن القارئ إذا تأمل ما فيه من الفقر ونحوها ، لم يزل منتقلا بها من فائدة إلى فائدة ، ومتصرفاً منها بين جدّ وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة ، وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية ، والخلفاء في الإسلام ، يجمل بالتأدين معرفتها ، وتحتاج الأحداث إلى دراستها ، ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ، إذ كانت منتحلة من غرر الأخبار ، ومنتقاة من عيونها ، ومأخوذة من مظانها ، ومنقولة عن أهل الخبرة بها » .

ويفصل بين سلوك الأديب وخلقة الفن ، يروى أخباراً كثيرة عن حياته يمكن في ضوءها تفسير إنتاجه ، ويورد نصوصاً من أدبه يمكن عن طريقها سبر أغوار نفسه ، دون أن يجرد ذلك الأدب من الجمال لأن صاحبه عار عن الفضيلة . يرى أن الأحوص دنى الأخلاق والأفعال ، قليل المروءة والدين ، هجاء للناس ، ويذكر من ذلك قصصاً كثيرة يبرهن بها على رأيه ، ثم يعقب عليها : « ولم أذكر ما جرى منه للغض منه في شعره ، ولكننا ذكرنا من كل ما يؤثر عنه ، وما تعرف به حاله من تقدّم وتأخر ، وفضيلة ونقص ، فأما تفضيله وتقدمه في الشعر فمتعالم مشهور ، فهو أشدّ تقدماً عن بقية الشعراء عند جماعة من أهل الحجاز وأكثر الرواة ، وهو أسمح طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وأصح معنى منهم ، ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة ألفاظ ليست لواحد منهم ، وشعره ينبىء عن نفسه ، ويدلّ على فضله فيه وتقدمه » .

وإذا أورد لشاعر أبياتاً ، وعرف لها مصدراً نقل الشاعر عنه ، أو اقتبس منه ، أو تأثر به ، أشار إليه ، فقد أورد أبيات أبي العتاهية :

ألا من لى بأنسك يا أخياً      ومن لى أن أبثك ما لدياً  
طوتك خطوب دهرك بعد نشر      كذاك خطوبه نشر وطياً  
فلو نشرت قواك لى المنايا      شكوت إليك ما صنعت إلّياً

بكِيتِكَ يا علىُّ بدمعٍ عَيْنِي فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً  
وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيّاً  
وَعَلَّقَ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ : « هَذِهِ الْمَعَانِي أَخَذَهَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مِنْ كَلَامِ تَلْفَلَّاسَةِ  
لَمَّا حَضَرُوا تَابُوتَ الْإِسْكَندَرِ ، وَقَدْ أُخْرِجَ الْإِسْكَندَرُ لِيُدفَنَ . قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ  
الْمَلِكُ أَمْسَ أَهْيَبَ مِنْهُ الْيَوْمَ ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسَ . وَقَالَ آخَرٌ = سَكَّتْ  
حَرَكَةُ الْمَلِكِ فِي لَذَاتِهِ ، وَقَدْ حَرَّكْنَا الْيَوْمَ فِي سَكُونِهِ ، جَزَعًا لِفَقْدِهِ . وَهَذَا الْمَعْنِيَانِ  
هُمَا اللَّذَانِ ذَكَرَهُمَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي هَذِهِ الْأَشْعَارِ » .

وَإِذَا تَوَهَّمْ أَبُو الْفَرَجِ فِي الشَّعْرِ الَّذِي يورده كلمة غامضة شرحها في بساطة  
ووضوح ، كما يتجلى في شرحه لأبيات من قصيدة عنتره :

بَكَرْتُ تَخَوَّفَنِي الْخُتُوفَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الْخُتُوفِ بِعِزْلِ  
فَأَجَبْتُهَا : إِنْ الْمَنِيَّةُ مِنْهُلٌ لَا بَدَّ أَنْ أَسْقَى بِكَأْسِ الْإِهْلِ  
فَاقْنِي حَيَاءَكَ ، لَا أَبَالِكَ ! وَاعْلَمِي أَنِّي أَمْرٌ سَامُوتٌ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي  
..... إلخ .

الختوف : ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف .

عن عرض : أى ما يعرض منها .

بِعِزْلِ : أى في ناحية معترلة عن ذلك .

منهل : مورد .

وقوله : « فاقني حياءك » أى احفظيه ولا تضعيه .

يعتبر « الأغاني » أوفى المصادر في تاريخ الغناء العربي وأخبار المغنين  
والمغنيات ، في صدر الإسلام والدولة الأموية ، والجانب الذى عاشه من دولة بنى  
العباس ، لكن مصطلحات الأصوات الواردة في الكتاب غير معروفة ، ولم ينته  
العلماء من تحديد مدلولاتها بعد .

لكن يؤخذ على أبى الفرج أنه ، وقد تأثر بأخلاقه الشخصية وبمجهجه في  
التأليف ، اهتم بسرد الجوانب الإنسانية الضعيفة في حياة الشعراء ، وركز على  
جانب الخلاعة والمجون في تصرفاتهم ، وأهمل الجاد الرزين المعتدل منها ، مما يوهم  
القارئ - وقد أوهم البعض فعلاً - بأن بغداد لم تكن على أيامه غير مدينة نافقة  
بالمجان والخلعاء والقيان والسكاري . ولقد كان في بغداد هذا اللون من الحياة

حقاً ، وربما على نحو أكثر وأبلغ مما قص أبو الفرج ، لكن الحق أيضاً أن هذا الجانب لم يكن هو كل ماهنالك ، ولا حتى الجانب الأوفر منه ، وإنما كانت تقوم إلى جانبه ، وعلى نحو أكثر إشراقاً ، حياة علمية جادة ، ودعوات صوفية زاهدة ، وكانت بغداد أكبر مركز للمتصوفين ، وعاش فيها على أيام أبي الفرج ثلاثة من كبارهم : أبو بكر الشبلي ، وأبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش ( ت عام ٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م ) ، والخُلدي ( ت عام ٣٤٨ هـ = ٩٥٩ م ) . وروى عن الجنيد ( ت ٩٦٧ م ) أن ورده كان في كل يوم ليلة ثلثمائة ركعة ، وثلاثين ألف تسبيحة ، وأقام عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع .

وأنه قصد بكتابه الإمتاع لا التاريخ ، أراد به ، كما يقول هو نفسه : « ما يروى الناظر ويلهى السامع » ، وإذن فهو يهمل من الأخبار ما ليس جذاباً حتى ولو كانت فيه فائدة ، ويعمد إلى ما هو شائق ومسلى من القصص والحكايات ، يطرف به النفوس المحزونة ، ويروح به عن العقول المكدودة ، حتى ولو كان قليل الأهمية ، أو واهياً ، ومن ثم فإن أخباره ، على أهميتها ، تمثل جانباً واحداً من الحياة لمرح لها ، لا كل الجوانب .

وأخبره عن خلفاء بني أمية وقد كُتبت في ظلّ العباسيين ، وما رواه عن الخلفاء العباسيين أنفسهم ، يجب أن يؤخذ في حذر شديد ، وقد ردّ ابن خلدون في « مقدمته » على ماورد في « الأغاني » استناداً إلى أخبار القصاص الواهية ، من معاقرّة رُشيد والمأمون وبمحيى بن أكثم الخمر ، وقال : « إنما كان شرابهم النبذ ، ولم يكن ذلك محظوراً عندهم ، وأما السكر فليس من شأنهم » .

وصاحب الأغاني يخطئ في روايته على قلّة ، فهو يقول عند حديث عن ابن ميّادة إنه : « شاعر فصيح مقدم مخضرم من شعراء الدولتين ، وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة ، وقرن به عمر بن لجأ ، والعجيف العقيلي ، والعجير بن عبد الله السلولى . ولم يورد ابن سلام في كتابه « طبقات فحول الشعراء » ابن ميّادة ، وعدّ عمر بن لجأ في الطبقة الرابعة ، وأورد شيئاً من شعره ، ولم يذكر العجيف وأورد العجير في الطبقة الخامسة ، فلعل أبا الفرج أخطأ الرواية في النقل ، أو ثقّلت إليه الرواية عسافهة غير صحيحة ، أو اطلع على نسخة من « طبقات فحول الشعراء » غير التي بين أيدينا .

ويلاحظ أن صاحب الأغاني أغفل ترجمة أبي نواس إغفالاً تاماً ، حتى الرغم من اتفاقها في المنزاع الأخلاقي ، وكان ابن منظور المصري صاحب لسان العرب ، ومختصر كتاب الأغاني ، أول من تنبه لهذا الإغفال ، فقد أفرد كتاباً خاصة بأخبار أبي نواس ، قال فيه : « لم أجد لأبي نواس ترجمة مفردة في نسخ الأغاني التي وقفت عليها » ، كما أغفل التنويه بشاعر فحل كابن الرومي ، بينما فاض في أخبار البحتری معاصره ، وبآخرين أقل منه قدرا ، بل إن ذكر ابن الرومي لم يرد في الأغاني كله على سعته إلا مرتين ، في موقفين لا يشرفان ابن الرومي . في المرة الأولى عرضه لنا سارقاً منتحلاً لبیت من الشعر ، وفي الثانية قدمه لنا هاجياً في موقف لا يحسن فيه الهجاء .



وكما حاز كتاب الأغاني في القديم شهرة واسعة ، نال في العصر الحديث أهمية بالغة . فنشر المستشرق الألماني كوزجارتن C. L. Kosegarten ( ١٧٩٢ - ١٨٦٠ م ) الجزء الأول منه ، وفق ترجمة له باللغة الألمانية ، تحت عنوان Alii Ispahanensis Liber Cantilenarum Magnus في مدينة جريفسفالد Greifswald بألمانيا ، عام ١٨٤٠ . ويقع القسم العربي منه في ٢٣٨ صفحة من حجم الأغاني ، وينتهي عند أخبار « ابن محرز ونسبه » وآخر صفحة فيد تتفق مع صفحة ١٥٢ من الجزء الأول في طبعة بولاق ، و صفحة ٣٨٢ من طبعة دار الكتب ، وكل كلماته مضبوطة بالشكل الكامل .

ثم طبع الأغاني بعد ذلك كاملاً ، وللمرة الأولى ، بمطبعة بولاق ، في عشرين جزءاً عام ١٣٠٥ هـ = ١٨٦٨ م ، وهي طبعة غير محققة علمياً ، وذات أخطاء وأضاف إليها المستشرق برونوف R. E. Brunow الجزء الواحد والعشرين ، قام بنشره في ليدن عام ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م ، وهذا الجزء ليس من تجزئته أبي الفرج ، وإنما مجرد زيادات عثر عليها برونوف في عدة نسخ مخطوطة ومحفوظة بمكتبة برلين ، وغيرها ، عند مراجعته طبعة بولاق على هذه الأصول . فجمعها وجعل منها جزءاً مستقلاً ، أعطاه اسم الجزء الواحد والعشرين .

كما قام المستشرق الإيطالي جويدي I. Guidi ( ١٨٤٤ - ١٩٣٥ م ) ، بمعاونة

نفر من المستشرقين ، بعمل فهارس كاملة لكتاب الأغاني ، حسب طبعة بولاق ، باللغة الفرنسية ، مرتبة على حروف المعجم ، ونشرت في مجلد ضخيم على حدة ، بمدينة ليدن عام ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م ، وتشمل فهارس لأسماء الشعراء وللقوافي ، وللأعلام من الرجال والنساء والقبائل وغيرها ، وأسماء الأماكن والجبال والمياه .

أما الصبعة الثانية للكتاب فقام بها الحاج محمد الساسي التونسي في القاهرة ، عام ١٣٢٢ - ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٤ - ١٩٠٥ م ، ويرمز إليها عادة بطبعة ساسي ، وهي إعادة لطبعة بولاق ، وقد أضاف إليها الناشر الجزء الواحد والعشرين الذي نشره المستشرق الألماني برونوف ، وترجم الفهارس التي وضعها جويدى باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ، ونشرها في أربعة مجلدات . وهي أكثر من سابقتها أخطاء وعدم اعتناء .

وكان للشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي يملك نسخة من طبعة بولاق وكان حجة في العلم بغريب اللغة وأنساب العرب ، فقام بتصحيح نسخته الخاصة مدونا تصحيحاته على الهامش أو في ثنايا السطور ، يكشط الكلمة المحرفة ثم يعيد كتابتها بدقة ، أو يصلح الحرف المغلوط ، أو يعجم الحرف المهمل ، وهمل المعجم ، يكشط نقصة أو يضيفها . ولما كان شيخ العروبة أحمد زكي يملك نسخة من كتاب الأغاني ، من طبعة بولاق ، فقد طلب إلى محمد عيد الجواد الأصمعي أن يصحح له نسخته على نسخة الشنقيطي المحفوظة بدار الكتب المصرية<sup>(١)</sup> ، ورأى فيها بعد أن يجمع هذه التصحيحات ويطبعتها في كراسة مستقلة مع الإشارة إلى رقم الصفحة والسطر ، في كل من طبعتي بولاق والساسى ، ليستفيد بها كل من توجد لديه نسخة من كتاب الأغاني . سواء أكانت الطبعة الأميرية أم العادية وقد طبعت هذه التصحيحات على هيئة جداول ليسهل مراجعتها ، وصدرت في عام ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م ، وقد استفاد منها مصححو القسم الأدبي عند إعادة طبع كتاب أغاني .

اضطلعت دار الكتب المصرية بالطبعة الثالثة لكتاب الأغاني ، ونهضت بها

( ١ ) النسخة الأصلية للأستاذ الشنقيطي توجد محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم : ١٤٤ ،

استجابة لرغبة على راتب باشا أحد السراة المثقفين المصريين ، فقد رشب إليها أن تطبع الكتاب على نفقته ، وبدأت المشروع على أسس علمية دقيقة عام ١٩٢٥ م ، حيث صدر الجزء الأول منه ، وتوشك الآن على الانتهاء من طبعه كادلا ، وتعتبر طبعتها أدق طبعة وأوفاهها ، مستقيمة النص ، مضبوطة اللفظ - مشروحة الغوامض ، مزودة بالفهارس التفصيلية في نهاية كل جزء ، وقد درجت مؤخرًا ، بعد أن ضعف شأن القسم الأدبي أو تلاشى ، أن تعهد بتحقيق الأجزاء التي تنشرها إلى كبار علماء اللغة وجهازة الأدب : من أساتذة دار العلوم وخرجييه ، فجاءت طبعتها وافية بالغرض المنشود منها ، محققة الأمل المعلق عليها . ثم قامت وزارة الثقافة في مصر بإعادة نشر كل ماسبق أن نشرته دار الكتب المصرية ، بعد أن نفذت أغلب أجزاء الكتاب المطبوعة ، وكثر الاقبال عليه واشتدت حاجة الناس إليه ، وذلك عن طريق تصوير مطبوع دار الكتب ، ويسرته لجمهور المثقفين بأسعار زهيدة للغاية ، لكن القائمين على المشروع أساءوا بجهلهم إلى هذه الفكرة الجليلة ، فحذفوا من كل جزء فهارسه الملحقه به ، وهى عنصر جوهري لكى يفيد منه الباحث المعاصر .

لا أعرف أن الكتاب طبع في مكان آخر من العالم العربى ، غير محاولة قامت بها إحدى دور النشر في بيروت منذ سنوات ، حين لجأت إلى إعادة نشر طبعة دار الكتب في فصالات صغيرة ، مضافًا إليها الأخطاء التي تنتج عن عدم العناية بالمراجعة ، وتصحيح تجارب الطبع . وفي هذا العام قامت دار نشر أخرى في بيروت بإعادة طبع الكتاب كله ، نقلت الأجزاء التي حققتها دار الكتب ، ثم أكملته من طبعتي بولاق والساسى ، في طباعة أنيقة ، على ورق بالغ الجودة .



حاول كثيرون تلخيص كتاب الأغاني ، إحساسًا منهم بسعته ووزيرة مادته ، وأولهم أبو الفرج الأصفهاني نفسه ، فقد أوجزه في كتاب أسماه « بحر - الأغاني » ضاع ولم يصلنا .

وأول من اختصر كتاب « الأغاني » ، بعد مؤلفه ، الأديب النحوى أبو الفتح ، عثمان بن عيسى البلطى ، المتوفى سنة ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م . أصله من بَلَطُ بليدة قريبة من الموصل ، أقام في دمشق زمنًا ، وجاء مصر مع صلاح

الدين الأيوبي ، فعينه صلاح الدين أستاذاً بالجامع العتيق ، يقرئ به النحو والقرآن ، وكان إلى جانب النحو مؤرخاً شاعراً ، له من المؤلفات : « العروض الكبير » ، و « العظات الموقظات » ، وكتاب « المنير في العربية » ، وكتاب « أخبار لمتنبي » ، و « علم أشكال الخط » ، ومؤلفات أخرى ، وذكر السخاوي : أبو الخير محمد شمس الدين ، المتوفى عام ٩٠٢ هـ = ١٤٩٧ م ، في كتابه : « لإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ » أن أبا الفتح عثمان بن عيسى ، لخص كتاب الأغاني ، لكنه لم يذكر عنوان الكتاب ، ولا اهتديت إليه في مصدر آخر .

والثاني هو القاضي جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله ، المعروف بابن واصل الحصى ، المتوفى عام ٦٩٧ هـ = ١٢٩٧ م ، وأسماء « تجريد الأغاني من ذكر المثلث والمثاني » جرد فيه الأغاني من ذكر الأصوات وما احتوت عليه من أنواع النغم والإيقاعات التي لا فائدة في ذكرها ، ومن الأسانيد والمكررات ، ومما لا فائدة في ذكره من الأخبار والأشعار والمشاركات . واقتصر فيه على ذكر غرر الفوائد ، يدرر الفرائد ، وشرح بعض الغامض من ألفاظه . ولدينا مخطوطة لهذا الكتاب يرجع تاريخ نسخها إلى حياة المؤلف ، كتبها محمد بن محمد التصيبي ، برسم خزانة السلطان أبي الفتح محمود بن محمد بن عمر شاهنشاه ، وكان القاضي جمال الدين قد ألف الكتاب استجابة لطلبه ، ويوجد الجزء الأول منه في مكتبة أياصوفيا بـ إستنبول ، في ٥٥٠ ورقة ، تحت رقم ١٤٠٠ ، ويوجد الجزء الثاني في متحف الأوقاف بنفس المدينة ، في ٣٠٠ ورقة ، تحت رقم ٢٠٠٧ T وقد قامت « دار التحرير » بالقاهرة بطبع الكتاب منذ أعوام ثلاثة ، في أجزاء عديدة ، قليلة الصفحات ، تبيعها رخيصة الثمن ، لكنها لم تكن وفية في العنوان الذي أعطته للكتاب ، فأسمته الأغاني ، مما جعل الإقبال عليه شديداً .

والثالث جمال الدين محمد بن مكرم ، المعروف بابن منظور ، المتوفى عام ٧١١ هـ = ١٣١١ م صاحب معجم « لسان العرب » الشهير ، فقد لخص كتاب الأغاني ، ورتبه على حروف الهجاء ، وأسماء « مختار الأغاني في الأخبار والتهاني » ، وجاء في ثمانية أجزاء ، والجزء الثالث أوقفه المؤلف على أخبار أبي نواس ، وكان صاحب الأغاني قد أهمل الترجمة له ، وقد وصلنا الكتاب كاملاً

بخط المؤلف نفسه ، وتوجد مخطوطاته في مكتبة كوبريلي باسطنبول ، وقد طبع « مختار الأغاني » حديثاً في القاهرة ، بعد أن قام على تحقيقه وضبط نص جماعة من العلماء .

كما قام عالم مغربي يدعى السلوى بن عبد الرحمن الأندلسي الفاسي ، استجابة لرغبة السلطان المغربي محمد بن عبد الله العلوي ، « بتجديد نسخة من كتاب الأغاني وتحريرها وتصحيحها وتهذيبها وتنقيحها وتحقيقها ، لتكون للسلطان تذكرة ، ولغيره من العلماء تبصرة » ، وأضاف إليها « ما اختاره السلطن من كلام المولدين ، وانتخبه من أشعار المحدثين مما تحسن إضافته ، وتُسَحِّن رايته ودرايته وذلك في أوائل محرم عن عام ١١٨٠ هـ » .

وقد حدّد السلطان للمؤلف الغاية مما يريد ، بعد أن درس كتاب وألم بأسراره ، فطلب منه أن يحذف الإشارات الموسيقية ومصطلحات الأتاني ، لأنها « اصطلاح فهم ذهاب أربابه ، وانقرض بانقرض أهاليه وأصحابه ، واضمحل فلم يوقف له على خبر ، ولا بقيت له عين ولا أثر ، إلا ما يذعر من ذلك على سبيل الحكاية ، كالأشياء الغريبة التي لا تعرف لها حقيقة ولا يوقف لها على غاية » وأن يعيد ترتيب تراجم الكتاب ، « بتأخير ما يستحق التأخير منها ، وتقديم ما يستحق التقديم ، وإبقاء بعض منها بمركزه الذي هو به ، وأزّ يفتح كل سفر من أسفاره الخمسة والعشرين بشاعر كبير من فحول الشعراء ، أو بسيد جليل من السادة الكبراء » . وعين لابتداء السفر الأول « أشعر شعرا الإسلام ، وأحمدهم طريقة وأسرعهم بديهة ، وعلمهم بمسالك الكلام وأساليبه حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه السلام » وأمر بتقديم تراجم الشعراء على ما اتصل بها من الأصوات والأشعار ، ومن النكت واللطائف والأسرار . وأسماء : « إدراك الأمانى من كتاب الأغاني » وجاء في خمسة وعشرين سفرًا ، لدينا منها واحد وعشرون ، لما تزل مخطوطة بعد ، وتوجد في خزانة القصر الملكي بالرباط ، تحت رقم ٢٧٠٦ .

وأخيراً في عصرنا الحديث ، قام لمرحوم محمد الخضري باختصار الأغاني في سبعة أجزاء ، ونشرها في القاهرة عام ١٩٢٥ بعنوان « مهذب الأغاني » .

○ منتحبات من كتاب « الأغاني » :

إسلام جبلة بن الأيهم

لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني ، وكان من ملوك آل جفنة ، كتب إلى عمر رضى الله عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له عمر ، فخرج إليه في خمسمائة من أهل بيته من عك وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدمه فسر عمر رضوان الله عليه ، وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال<sup>(١)</sup> وأمر جبلة مائتي رجل من أصحابه فلبسوا السلاح والحديد وركبوا الخيول معقودة أذنابها - وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه ، وفيه قرطاً مارية ، وهي جدته ، ودخل المدينة فلم يبق بها بكر ولا عانس<sup>(٢)</sup> إلا تبرجت وخرجت تنظر إليه وإلى زيه ، فلما انتهى إلى عمر رحب به وألففه<sup>(٣)</sup> وأدنى مجلسه . ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة ، فبينما هو يطوف بالبيت وكان مشهوداً بالموسم ، إذ وطئ إزاره رجل من بني فزارة فأنحل ، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري ، فاستعدت<sup>(٤)</sup> عليه عمر رضوان الله عليه ، فبعث إلى جبلة فأتاه ، فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمّد حل إزارى ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقررت ، فإما أن ترضى الرجل وإما أن أقيده<sup>(٥)</sup> منك . قال جبلة : ماذا تصنع بى ؟ قال : أمر بهشم أنفك كما فعلت . قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك ؟! قال : إن الإسلام جمعك وإياه ، فلست تفضله بشيء إلا بالتقى والعافية . قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الإسلام أعزّ منى فى الجاهلية ، قال عمر : دع عنك هذا ، فإنك إن لم ترض الرجل أقدته منك ، قال : إذا أتصّر ، قال : إن تنصّرت ضربت

١ ) الأنزال : جمع نزل وهو ما هيئ أن ينزل عليه .

٢ ) عنست الجارية : طال مكثها فى أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار ولم تتزوج .

٣ ) ألففه بكذا : بره .

٤ ) استعده : استغفاه واستعانه واستنصره .

٥ ) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

عنقك ، لأنك قد أسلمت ، فإن ارتددت قتلتك . فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال أنا ناظر في هذا ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حى هذا وحى هذا خلق كثير ، حتى كادت تكون بينهم فتنة . فلم' أمسوا أذن له عمر في الانصراف ، حتى إذا نام الناس وهدأوا حمل جبلة بخيله ورواحله إلى الشام ، فأصبحت مكة وهي منهم بلاقع<sup>(١)</sup> فلما انتهى إلى الشام تحمل في خمسمائة رجل من قومه ، حتى أتى القسطنطينية فدخل إلى هرقل فتنصّر هو وقومه ، فسرّ هرقل بذلك جد ، وظنّ أنه فتح من الفتوح عظيم وأقطعه حيث شاء ، وأجرى عليه من النزل ما شاء ، وجعله من محدثيه وسّمّاره<sup>(٢)</sup> .

### البحترى

ويكنى أبا عبادة شاعرٌ فاضل فصيح ، حسن المذهب نقى الكلام مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرف حسن فاضل في ضروب الشعر سوى الهجاء ، فإن بضاعته فيه نزرة<sup>(٣)</sup> وجيده منه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به وقال له : اجمع كل شيء قلته في الهجاء ، ففعل : فأمره بإحراقه ثم قال له : يابنى هذا شيء قلته في وقت فشفيت به غيظى وكافأت به قبيحاً فعل بى ، وقد انقضى أربى في ذلك ، وإن بقى روى . وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة ، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولا لى فيه . قال : فعلمت أنه قد نصحنى وأشفق على فأحرقته . أخبرنى بذلك على بن سليمان الأخفش عن أبي الغوث . وهذا وإن كان كما قال أبو الغوث لا فائدة فيه له ، لأن الذى وجدناه وبقي فى أيدى الناس من هجائه فأكثره ساقط ...

وكان البحتري يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو مذهبه وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله ، ويراها صاحباً وإماماً ويقدمه على نفسه ويقول فى

( ١ ) البلاقع : جمع البلقع وهو الأرض القفر .

( ٢ ) «الأغانى» ج ١٤ ص ٤ .

( ٣ ) نزرة : قليلة .

الفرق بينه وبين قول منصف : إنَّ جيّد أبي تمام خير من جيده ، ووسطه خيرٌ من وسط أبي تمام ورديته ، وكذا حكم هو على نفسه<sup>(١)</sup> .

### عقلية العامة

قال أبو الفرج :

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني ابن مهرويه قال : حدّثني عثمان الوراق ، قال : رأيت العتّابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك أما تستحي ؟ فقال لي : أرايت لو كنّا في دار فيها بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا ، قال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر ، فقام فوعظ وقصّ وتعا حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم : روي لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة<sup>(٢)</sup> أنفه لم يدخل النار ! فما بقي أحد إلّا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنه ويقدر حتى يبلغها أم لا ، فلما تفرقوا قال لي العتّابي : ألم أخبرك أنهم بقر<sup>(٣)</sup> .

### الغناء في حمص

قال حنين :

خرجتُ إلى حمص ألتمس الكسب بها وأرتادُ من أستفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفتيان وأين يجتمعون ، فقبل لي : عليك بالحمامات ، فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا ، فجلّست إلى أحدها فدخلته فإذا فيه جماعة منهم ، فأنست وانبسّطت ، وأخبرتني أني غريب ، ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا بي إلى منزل أحدهم ، فلما قعدنا أدينا بالطعام فأكلنا ، وأتينا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم هل لكم في مغن يغنيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به . هاتوا عوداً ، فأتيته به ، فابتدأت في هنات أبي عبّاد معبد ، فكأنما غنيت للحيطان ، لا فكهوا لغنائني ولا سرّوا به ، فقلت : ثقل عليهم غناء معبد لكثرة عمله وشدّته وصعوبة مذهبه ،

( ١ ) « الأغاني » ج ١٨ ص ١٦٧ .

( ٢ ) الأرنبة : طرف الأنف .

( ٣ ) « الأغاني » ج ١٢ ص ٤ .

فأخذت في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شيء ، وغنيتُ خفائف ابن سريج ،  
وأهزاج حكم ، والأغاني التي لي ، واجتهدت في أن يفهموا فلم يتحرك عن القوم  
أحد ، وجعلوا يقولون : ليت أبا منبه قد جاءنا . فقلت في نفسي : أرى أني  
سأفتضح اليوم بأبي منبه فضيحة لم يفتضح أحد قط مثلها ، فبينما نحن كذلك إذ  
جاء أبو منبه ، وإذا هو شيخ عليه خفان أحمران كأنه جمال ، فوثبوا جميعاً إليه  
وسلموا عليه ، وقالوا : يا أبا منبه أبطأت علينا ، وقدموا له الطعام وسقوه  
أقداحاً ، وخنست أنا حتى صرت كلا شيء خوفاً منه ، فأخذ العود ثم اندفع  
يغني :

طرب البحر فاعبري يا سفينة لا تشقي على رجال للدينة  
فأقبل القوم يصفقون ويطربون ويشربون ، ثم أخذ في نحو هذا من الغناء  
فقلت في نفسي : أنتم هنا . لئن أصبحت سالماً لا أمسيت في هذه البلدة . فلما  
أصبحت شددت رحلي على ناقتي واحتقبت ركوة من شراب ورحلت متوجهاً إلى  
الحيرة وقلت :

ليت شعري متى تخبّ بي النّاء      قة بين السدير والصّنين<sup>(١)</sup>  
محقباً ركوة وخبز رقاق      وبقولا وقطعة من نـ<sup>(٢)</sup>  
لست أبغي زاداً سواها من الشأ      م وحسبي علالة تكفيني<sup>(٣)</sup>  
فإذا أبت سالماً قلت سح      قاً وبعاداً لمعشر فارقوني<sup>(٤)</sup>

## طمع أعرابي

أخبرني محمد بن يزيد قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا ابن زبابة قال :  
حدثنا ابن ربيع راوية بن هرمة عن أبيه قال : كان أبان بن عثمان مع أهزل  
الناس وأعبتهم وبلغ من عبثه أنه كان يجيئ بالليل إلى منزل رجل في أعلى المدينة له

( ١ ) الخبب : ضرب من العدو . صنين : كسكين موضع بالكوفة .

( ٢ ) الرقاق : كغراب الخبز الرقيق .

( ٣ ) العلالة : ما يتعلل به وما حلب بعد الفيقة الأولى .

( ٤ ) « الأغاني » ج ٢ ص ١١٩ .

لقب يغضب منه فيقول له : أنا فلان ، ثم يهتف بلقبه فيشتمه أقبح شتم وأبان يضحك ، بينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب إذ أقبل أعرابي ومعه جمل له ، والأعرابي شقر أزرق أزعر<sup>(١)</sup> غضوب ، يتلظى<sup>(٢)</sup> كأنه أفعى ، ويتبين السر في وجهه ، معيدون منه أحد إلا شتمه ونهره ، فقال أشعب لأبان : هذا والله من البادية ، اعوه . فدعى وقيل له : إن الأمير ابن عثمان يدعوك . فأتاه فسلم عليه ، فسله أبان عن نفسه فانتسب له فقال : حياك الله يا خالي ، حبيب ازداد حبا ، فجلس فقال له : إني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة وهذه القامة واللون والصدر والورك<sup>(٣)</sup> والأخفاف ، فالحمد لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبه ، أتبعه ؟ فقال : نعم أيها الأمير . فقال : فإني قد بليت لك به مائة دينار ، وكان الجمل يساوي عشرة دنائير ، فطمع الأعرابي وسر وانتفخ وبان السرور والطمع في وجهه ، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويلك يا أشعب إن خالي هذا من أهلك وأقاربك ، يعنى الطمع ، فأوسع له مما عندك فقال له : نعم ، بأبي أنت وزيادة ، فقال له أبان : يا خالي إنما زدتك في الثمن على بصيرة ، وإنما الجمل يساوي ستين دينارا ، ولكن بذلت لك مائة لقلة النقد عنده ، وإني أعطيك به عروضاً<sup>(٤)</sup> تساوي مائة ، فزاد طمع الأعرابي وقال : قد قبلت ذلك أيها الأمير ، فأسر إلى أشعب فأخرج شيئاً مغطى فقال له : أخرج ما جئت به ، فأخرج جرد عمامة خز خلق<sup>(٥)</sup> تساوي أربعة دراهم فقال له : قومها يا أشعب فقال له : عمامة الأمير تعرف به ويشهد فيها الأعياد والجمع ، ويلقى فيها الخلفاء ، خمسون ديناراً ، فقال : ضعها بين يديه ، وقال لابن ربيع أثبت قيمتها ، فكتب ذلك ، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً ولم يقدر على الكلام ، ثم قال : هات قلنسوتي ، فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد تلاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم ، فقال : قوم فقال :

( ١ ) شقر أزعر : قليل متفرق .

( ٢ ) يتلظى : يتهلب .

( ٣ ) الورك : ما فوق الفخذ .

( ٤ ) العروض : جمع العرض وهو المتاع وكل شيء سوى النقدين .

( ٥ ) الخلق : البالي ، للمذكر والمؤنث . الجرد الخلق .

قلنسوة الأمير تعلو هامته ويصلى فيها الصلوات الخمس ويجلس للحكم ، ثلاثون ديناراً ، فقال : أثبت ، فأثبت ذلك ، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي فتريد<sup>(١)</sup> وجهه وجحظت<sup>(٢)</sup> عيناه وهم بالوثوب ثم تماسك وهو متقلقل ، ثم قال لأشعب : هات ما عندك ، فأخرج خفين خلقين قد نقبا<sup>(٣)</sup> وتقسرا وتفتقا فقال له : قوم ، فقال : خفا الأمير يطأ بهما الروضة ويعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أربعون ديناراً ، فقال ضعها بين يديه ، فوضعها ، ثم قال للأعرابي : اضمم إليك متاعك ، وقال لبعض الأعوان : اذهب فخذ الجمل ، وقال لآخر : امض مع الأعرابي فاقبض مابقى لنا عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً ، فوثب الأعرابي فأخذ القماش<sup>(٤)</sup> فضرب به وجوه القوم لا يألوا في شدة الرمي به ، ثم قال له : أتدرى أصلحك الله من أى شيء أموت ؟ قال : لا ، قال : ما لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله فى دمه إذ ولد مثلك ، ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره ، وضحك أبان حتى سقط كل من كان معه ، وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له : هلم إلى يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك يوم قوم ، فيهرب أشعب منه<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ترديد : تغيير .

( ٢ ) جحظت عينه : خرجت مقلتها .

( ٣ ) نقبا : رتقا .

( ٤ ) القماش : ما على وجه الأرض من فتات الأشياء .

( ٥ ) « الأغاني » ج ١٧ ص ١٠٢ - ١٠٣ .